مجلة حوليات التراث
REVUE ANNALES DU PATRIMOINE
ISSN 1112-5020

صورة الديني في أدب هرمان هسه

Image of the religious in the literature of Hermann Hesse

عمارة كحلي
جامعة مستغانم، الجزائر
kahliammara2002@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2005/3/1

03
2005

الإحالة إلى المقال:
* عمارة كحلي: صورة الديني في أدب هرمان هسه، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثالث، مارس 2005، ص 59-65.

BY-NC-ND

http://annales.univ-mosta.dz

***

مجلة حوليات التراث، العدد 3، 2005، ص 59 - 65
ISSN 1112-5020

صورة الديني في أدب هرمان هسه

عمارة كحلي
جامعة مستغانم، الجزائر

الملخص:

تشغل صورة "الديني" في روايات الروائي الألماني هرمان هسه الأفق المرجعي الذي تمتح منه شخصيات الموضوع أجواءها الفكرية والسردية على حد سواء. ذلك أن معالم هذه الصورة مبنية من هذا التواشج الروحي الذي تصنعه فكرة الاعتقاد في نفس مستقبليها داخل النص ومدى تمسكه بإنسانيته في سبيل الانتصار على الطبيعة. فأي صورة "للديني" يرتجيها الروائي تشكيلا فنيا لأفقه السردي؟ وكيف يتحاور "الديني" مع الفن والجمال؟ وأخيرا، ما هي محصلة التشكيل الفني في تخريج صورة "الديني" إن بصريا أو تركيبا جماليا؟ تلك بعض الأسئلة التي نحاول مطارحتها في هذه الورقة.

الكلمات الدالة:

الدين، الجمال، الرواية، الأدب الألماني، هرمان هسه.

Image of the religious in the literature of Hermann Hesse

Ammara Kahli
University of Mostaganem, Algeria

Abstract:

The image of the "religious" in the novels of the German novelist Hermann Hesse occupies the reference horizon from which the characters of the subject make their intellectual and narrative atmospheres alike. This is because the features of this image are based on this spiritual interweaving created by the idea of believing in the soul of its future within the text and the extent of its adherence to its humanity in order to triumph over nature. What image of "the religious" does the novelist produce an art form of his narrative horizon? How does the "religious" engage in art and beauty? Finally, what is the outcome of the artistic formation in producing the "religious" image visually or aesthetically? These are some of the questions that we try to pose in this paper.

تاريخ النشر: 2005/3/1
kahliammara2002@yahoo.fr
© جامعة مستغانم، الجزائر 2005

Keywords:
religion, beauty, novel, German literature, image.

ولد هرمان هسه (Hermann Hesse) عام 1877م في كالف ومات عام 1962م في سويسرا. قضى هسه شبابه في مدينتي كال وبازل، تربى على النزعة التقوية، وكان من المفترض أن يدرس علم اللاهوت، وبعد إقامة دامت لمدة سنة واحدة، هرب من دراسة البروتستانية في باولبرون وعمل في الفترة من 1899م حتى 1903م في تجارة الكتب والتحف القديمة في بازل، منذ عام 1904م أصبح هسه كاتبا حرا في بودنزيه بعد أن ظل يكتب في البداية تحت الاسم المستعار إميل زينكلير. قام برحلات عدة في أوربا والهند، وأصبح عام 1923م مواطنا يحمل الجنسية السويسرية، في عام 1946م حصل على جائزة نوبل في الأدب. ومن أعماله:

تحت العجلة (رواية 1906م).

دميان - قصة شباب إميل زنكلير (رواية 1919م).

ذئب البراري (رواية 1927م).

نرسيس وجولدموند (قصة 1930م).

لعبة الكريات الزجاجية (رواية 1943م).

رحلة إلى الشرق (رواية 1932م).

سد هارتا (رواية 1922م).

الحرب والسلام، تأملات عن الحرب والسياسة منذ عام 1914م (مقالات 1946م).

1 - قصة "نرسيس وجولد موند":

تجري القصة بدير "مريابون" (Mariabonn) في ألمانيا القرون الوسطى، حيث يتعهد الراهب "نرسيس" الطفل الموهوب "جولدموند" بتوجيه من أبيه الذي يُعده لحياة الرهبان تكفيرا عن عار أمه. يرتبط "نرسيس" بـ"جولدموند"

ويرى فيه مستقبلا مليئا بالحياة خارج جدر الرهبان. وهكذا يسمع "جولدموند" الشاب نداء أمه وينفصل عن الدير، كي يعيش تجربة الطبيعة بكل عنفوان من خلال مغامراته مع النساء وأجواء الصعلكة. ثم لا يلبث أن يكتشف فيه أنامل النحات ويلج دروب الفن الوعرة. غير أنه يظل مذبذبا متصعلكا ولا يفطن إلى عبثية عمره الذي انقضى مجانا إلا حين لا تعبأ به "أغني" (Agnès) لأنه لم يعد يتمتع بنضارة الشباب كما في العهد السالف. وعلى الرغم من عودة "جولدموند" مجددا إلى الدير ثم الفرار منه بعد ذلك؛ فإنه يستمر في طريقه: يكبو جواده وسط النهر ويقع فريسة المرض والألم، لكنه يعرف سكينة الموت بين يدي "نرسيس" حينما يطمئن إلى أن صورة أمه التي افتقدها تقوم بخته إلى جوارها.

2 - تجليات صورة "الديني":

إن صورة "الديني" غير منفصلة جدليا عن آلام الروح التي تحادث الذات، ولذلك ألفينا هذه الصورة مرتبطة بمستويات حضور هذه المعايشة الروحية وغيابها. فنرسيس، معلم الفلسفة والدرس الإغريقي، هذا الروائي الذي ينفذ إلى أعماق الروح، يظل متمسكا بالقسم الذي قطعه على ذاته أمام الدير بأن يبقى راهبا ومعلما للتلاميذ الذين يتوافدون إلى الدير. ومن ثمة سيشكل قطبا مرجعيا هاما في حياة "جولدموند"، لكونه سيوحي إليه الطريق الذي سيختاره: فرنسيس قد نذر نفسه "لخدمة الروح"[1]. وهو الأمر الذي يجعل من "الديني - الروحي" حاضرا غائبا في بصيرة "جولدموند" الشاب الإنسان الناضج خلال الفترة التي غادر فيها الدير ثم عودته إليه في آخر حياته. لأجل ذلك، سنهتم ببناء صورة "الديني" انطلاقا من تجلياتها في حياة "جولدموند" على وجه الخصوص، باعتباره حاملا لصورة معلمه في ذات الوقت: وهي صورة لا تعني التماثل بقدر ما تعني اللاتماثل الذي كان دوما فاصلا بين الشخصيتين: يقول "نرسيس" لـ"جولدموند" وهو يحاوره عن هذا الاختلاف:

"إنك فنان، وأنا مفكر. إنك تتوسد فؤاد الأم، أما أنا فأرعى القفر. إنني أستضيء بالشمس، أما أنت فتشع لأجلك النجوم والقمر. إنهن الفتيات اللائي تتسلطن

على أحلامك، أما عني فهم تلامذتي..."[2]

3 - الانفصال "السر الخفي":

يبتدئ الانفصال من اللحظة التي يقرر فيها "جولدموند" مغادرة الدير في سبيل الانخراط في الحياة، وهي اللحظة التي يدرك فيها بإيعاز من "نرسيس" أنه قد نسي فترة من حياته ترتبط بأمه. وابتداء من هذه اللحظة التي يعي فيها "جولدموند" ذلك الحضور المشرق لأمه وهو طفل ثم غيابها من البيت بعد هروبها، يتضح له أنه يسير في طريق أمه:

"كانت الحياة الغامضة هنا نتفرسه، عالم الظلمات المغلقة، غابة محفوفة بالأدغال الشائكة، مليئة كلها بالأخطار، بيد أن هذا الغموض، كان غموض الدائرة الصغيرة، الهوة الصغيرة المليئة بالتهديدات في غور عينيه اللامعتين"[3].

كانت صورة أمه الهيولية سره الخفي الذي اكتشفه في جسد كل امرأة عبرها أو أحبها، ولأجل ذلك في كل واحدة منهن كان يكتشف ذاته (إنسانيته المقهورة)، ويكتشف في الوقت ذاته شيئا من أمه فيهن. كانت المرأة عزاءه الأمومي الذي افتقده وكانت أيضا ديرا للجمال الإلهي، ولذلك لم ينفصل الحب-العشق عن بحثه عن الجمال. فالجمال سر إلهي تعيشه الروح، فلم يكن يطلب الجسد، بقدر ما كان يتأمل فيضه فيه (يتأمل عبارات "نرسيس" من هوامش كل امرأة أيضا)؛ وهو في كل مرة يضيف ملامح جديدة للصورة المحفوظة في الذاكرة عن أمه:

"في غضون الأيام المقطوعة على الطرقات، وفي ليالي الهوى، وفي ساعات التمني المتأججة، وفي أوج ساعات الخطر، حيث كانت المنية دانية، يتحول الوجه الأمومي تدريجيا ويغتني، فقد كان أكثر عمقا وتنوعا، إذ لم يكن وجه أمه الخاص، بل إن ملامحه وألوانه قد ألفت شيئا فشيئا صورة للأم التي ليس لها أي خصوصية إطلاقا. وجه حواء، أم البشر جميعا"[4].

وبنمو التفاصيل تكبر تأملات "جولدموند" الشاب الذي غدا فنانا بعد أكثر من ثلاث سنوات من المراس والتكوين في ورشة المعلم "نيكلاوس"

(Niklauss). إنها لحظة التجلي التي يتعانق فيها الألم بالحب والحب بالموت: تأمل الألم الذي تخلفه تجربة الموت في عيني الفنان.

4 - تجربة الموت "تجربة التجلي":

"حينما نخلق الأشكال باعتبارنا فنانين أو نبحث عن قوانين أو نصوغ أفكارا بوصفنا مفكرين، فإننا نقوم بذلك حتى نصل إلى إنقاذ شيء من رقصة الأموات الكبرى، توطيدا لشيء يتجاوز الديمومة بقدر ما يتجاوز ذواتنا"[5].

يتحول التأمل في الموت إلى هاجس يؤرق ضمير "جولدموند"، لاسيما تلك المشاهد التي يصفها السارد عن الطاعون وما انجر عنه من كوارث. غير أن أعظم تلك المشاهد هو ما ورد في أواخر القصة عند احتضار "جولدموند" وهو بين يدي "نرسيس":

"عزيزي، وهو يهمس إليه، لا يمكنني الانتظار حتى الغد. علي أن أستودعك. علي أن أخبرك لكل شيء. أنصت إلي لحظة أخرى. كنت أرغب في أن أُحدثك عن أمي، وأن أخبرك عن أصابعها المشدودة حول قلبي. كانت أعز رغبة منذ سنين وحلمي الأكثر غموضا أن أنجز صورتها؛ كانت أقدس الصور كلها، ولذلك كنت أحملها معي دوما: كانت رؤية خفية من الحب. منذ وقت ليس بالقصير كان يصعب علي التفكير بأنه يمكنني أن أموت من دون أن أكون قد حددت ملامحها، وبدا لي أن حياتي كلها لا طائل من ورائها، واليوم، تتخذ الأشياء مظهرا غريبا، عوض أن تكون يداي هما اللتان تنحتانها وتشكلانها؛ فإنها هي التي تعجبني وتصنعني. لها يدان من حول قلبي تُخلصه وتفرغه. إنها تفتنني وتقودني تجاه الموت فيموت معي حلمي، التمثال الرائع لحواء الأم الكبرى. إني لا أزال أراها وإذا كانت يداي تملكان القوة يمكنني أن أهملها شكلا. ولكنها لا تريد. إنها لا تريدني أن أكشف سرها. إنها تفضل أكثر أن أموت. وإني أموت بلا ندم. وقد كان الأمر يسيرا علي بفضلها"[6].

نلاحظ أن "جولدموند" في اعترافاته الأخيرة، يغدو الموت لديه مصدرا للخلق الفني إذ تتساوى رغبة النحت لصورة أمه في خياله مع موضوع الرغبة

الواقع عليها النحت فعليا. فالألم قد زال في حضور هذه الصورة المنحوتة عكسيا: وهو ما يفسر شعرية الألم حين يلبي الشوق المتقد في الداخل. إنه مقام صوفي لأن الحبيب راض عن محبوبه ما دام قد تجلى إليه، ولكن هذا التجلي شاهد على العيان الذي يشاهده ولا يرضى البوح خارج المشاهدة لأنها هتك للحجاب وللسر الذي ينبغي أن يظل خفيا. وهكذا تغدو صورة الأم معادلا للحب وللموت في الوقت نفسه؛ إذ يترك "جولدموند" "نرسيس" محترفا بهذه العبارة: "ولكن نرسيس كيف تريد أن تموت يوما وأنت لم تعرف لك أما على الإطلاق؟ من دون أم لا يمكن أن تحب، من دون أم لا يمكن أن نموت"[7].

معنى الموت إذن مقترن بالأم ومعنى الحب مقترن بها أيضا. ولذلك نحتاج إلى حب كبير حتى نموت: الفناء عطاء وحتى نفنى ينبغي أن نعطي من ذواتنا الفانية، لما نحت "جولدموند" صورة معلمه؛ فإنه قد فعل ذلك بحب كبير: لقد أفرغ ما فيه من الحب في معلمه وتوحد معه في صنعه وملامحه. أما صورة أمه فظلت مستعصية الحضور حتى أفنته مع ألمه. يقول هيجل: "الحياة تتقدم نحو النفي، مع ما ينطوي عليه من ألم، ولا تغدو إيجابية قياسا إلى ذاتها إلا بتهدئة التعارض وتسكين التناقض"[8]. "لكن لمَ تكون هذه الرغبة المتأججة وهذا النقص عيبا؟ أو ليس منهما يولد كل ما يصنعه الإنسان من جمال وقداسة كي يعيده إلى الله عرفانا بالجميل"[9].

لربما من هنا يمكن قراءة الأبعاد المتخفية من صورة "الديني-الروحي" في قصة هرمان هسه، ذلك أن شخصياته تمتح من معين الفن كي ترسم أفقا روحيا من تجليات الجمال الإلهي. وما الكشف الذي تصل إليه من المعاناة وتجربة المعنى إلا من تدفق شعورها الذي يظل موسوما بهذه النفثات الشعرية. يخبرنا "موريس بلانشو" في كتابه "الكتاب القادم" أن هسه "وهو يهيئ نفسه لكتابة رواية، فإنه غالبا ما يحاول تسويد الموضوعات بإعطائها تعبيرات شعرية. وينبغي التذكير بأن هسه قد أوضح الكثير من كتبه بعدة رسومات نائية، وفي بعض فترات حياتيه، يكون قد رسم مئات اللوحات، كان الفن التشكيلي لديه نظاما شافيا ووسيلة لاستيعاب

ذاته..."[10] من هنا لربما نفهم هذه الطاقة الشعرية التي يحاول أن يتحصن من ورائها السارد كي يمنح لقارئه تركيبا بصريا جميلا لا يخلو من السحر، وهو القائل - في سيرته الذاتية - "إن أكثر المهن قربا إلى قلبي هي أن أكون ساحرا"[11].

الهوامش:

1 - انظر،

Hermann Hesse : Narcisse et Goldmund, trad. Fernand Delmas, 1948, p. 84.

2 - المصدر نفسه، ص 57.

3 - المصدر نقسه، ص 76.

4 - المصدر نفسه، ص 203.

5 - المصدر نفسه، ص 192-193.

6 - المصدر نفسه، ص 382.

7 - المصدر نفسه، ص 383.

8 - هيغل: فكرة الجمال، ترجمة جورج طرابيشي، دار بيروت ودار الطليعة، ط3، 1988، ص 171.

9 - نرسيس وجولدموند، ص 305.

10 - Maurice Blanchot : Le livre à venir, Gallimard, Paris 1959, p. 244.

11 - هرمان هسه: السيرة الذاتية، ترجمة محاسن عبد القادر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1993، ص 31.

References:

1 - Blanchot, Maurice: Le livre à venir, Gallimard, Paris 1959.

2 - Hegel: Fikrat al-jamāl, (Hegel's Aesthetics), translated by Georges Trabishi, Dār Beyrout and Dār al-Ṭalī'a, 3rd ed., Beirut 1988.

3 - Hesse, Hermann: As-sīra adh-dhātiyya, (Biography), translated by Maḥāsin 'Abd al-Qādir, al-Mu'assasa al-'Arabiyya li al-Dirāsāt wa al-Nashr, Beirut 1993.

4 - Hesse, Hermann: Narcissus and Goldmund, translated by Fernand Delmas, 1948.